مطر في صباح دافيء – سلوى البنا:

تحاول «سلوى البنا» في «مطر في صباح دافيء» ان تبني عملا روائيا يقوم على رجم التجربة الفلسطينية او على رجم شكل معين من الممارسة السياسية في الساحة الفلسطينية، ولتحقيق هذا المشروع تلجأ الى سلسلة القول والحوار و«الحوار الذاتي» بين مثقفة عصابية وطبيب، وبينهما وبين وسط اجتماعي فلسطيني ميسور، حيث يتحقق الحوار في فضاء الليل والامكنة الانيقة والذاكرة المعطوبة والشخصيات المحبطة وشخصيات اخرى تعيش بـ «الثورة». ويمكن القول ان «سلوى» تبدأ روايتها بصفحات جميلة ذات ايقاع مدهش، لكن هذا الايقاع لا يلبث ان يتوارى سريعا لتحل محله كتابة وعظية بسيطة تجتر ذاتها بلا نهاية. وامام اختلاف البداية عن النهاية يطرح سؤال نفسه: ما هو الفرق بين معرفة الواقع وبين وهم معرفة هذا الواقع؟ ويأتي الجواب ويقول: الوهم لا يعطي شيئا لا في الرواية ولا خارج الرواية. ولكن كيف يتجلى هذا الوهم؟

يتجلى الوهم عندما تماثل الشخصية الهامشية ذاتها بالحركة التاريخية للشعب الذي تنتمي اليه،فـ«جان دارك» شخصية معطوبة محبطة تعيش في دائرة ذاتيتها الكسيرة، ورغم الانكسار والاحباط فإنها تجعل من ذاتها مثيلا وتجسيدا لحركة الشعب الفلسطيني كله، اي انها لا تتعامل مع الواقع بل تتعامل معه من خلال علاقاتها به، وهذه العلاقات، في قصورها ومحدوديتها، لا تسمح بمعرفة الواقع. معنى ذلك انها تنطلق من معادلة مستحيلة تقود في النهاية الى انهيار العمل الروائي بأسره.

تلغي الشخصية الهامشية الشعب والواقع، وتجعل من ذاتها بديلا لهذا الشعب وذلك الواقع، ويستمر الالغاء حتى تتحول الذاتية الواهمة الى نقطة البداية والنهاية، وعندما تنغلق الشخصية على ذاتها فإن حركتها وحركة الواقع معها لن تكونا الا حركة دائرية تعيد ذات القول وذات الفعل، اي تلغي كل امكانية فعلية للحركة الروائية. وبسبب هذه الدائرية تتهافت رواية سلوى البنا. والدائرية هنا لا تتم في اطار القول الروائي بل في حدود الرؤيا السياسية والاخلاقية، وعندها تمتد السطور لمناقشة «السياسات الثورية» و«السياسات الانهزامية»، كما يعلو صوت الاحتجاج الاخلاقي وهو يرصد لون الملابس وشكل «النظارات»و«ديكور المنازل». لهذا نستطيع القول ان الرؤيا الاخلاقية هي التي حكمت «مطر في صباح دافيء» وجعلت هذه الرواية تقع في القول المباشر: «اعذرني وحدهم فقراء الجنوب يحق لهم ان يقولوا بأن قضيتنا قضيتهم. وحدهم الذين عاشوا ذات الفصول، احترقوا مع الارض وبها. حملوا مفاتيح بيوتهم كما حملناها قبل اكثر من ثلاثين عاما، وحملوا معها الامل بالعودة تماما كما رافقنا الأمل. الفرق الوحيد هو الزمن. فقط الزمن» ص:٩٥.

ان رواية سلوى البنا هي نموذج ادب الرفض والاحتجاج. والسؤال الادبي لا يدور حول «الرفض والاحتجاج» او حول «الاوهام الذاتية وكتابتها»، بل يدور حول الشكل الادبي، والشكل الادبي هنا يغيب، وتصبح الرواية شكلا آخر للمقالة السياسية